الظلة البابية

متولى

بقلم : محمود البدوى

وقفت عصر يوم من أيام الصيف فى ميدان « التحرير » ٠٠ انتظر سيارة الساعة السادسة الذاهبة الى الاسكندرية ٠

وكان اليوم قائظا يتنفس بمثل النار الحامية والضغط على سيارات الطريق الصحراوى بلغ أشده والشركةقد أعدت للأمر عدته فسيرت سيارة فى كل نصف ساعة ٠

وما كنت أحب الزحام ٠٠ ولا التدافع بالمناكب على شبابيك التذاكر ٠٠ ولكن لم يكن من السفر بد ٠٠ فوقفت فى الصف ٠

وعثرت بعد شق النفس على تذكرة

زوجية تحمل رقم ٢٤ فى مقعد من المقاعد الخلفية لسيارة من سيارات السهم الذهبى ٠٠ وكان ما يشغلنى أن أعرف الراكب الذى بجوارى فى هذا السفر الطويل ٠ والذى يحمل التذكرة رقم ٢٣ لأنى أكره التدخين ولا أحب أن يجلس بجوارى مدخن يظل يرمى الدخان فى وجهى وخياشيمى ثلاث ساعات كاملة فى هذا اللهيب ٠

ولم أكن فى حالة نفسية تجعلنى أطيق رائحة الدخان ٠٠ اذ كنت على درجة شديدة من التوتر العصبى والغم النفسى جعلتنى أتبرم بكل شىء فهربت من عملى ومن بيتى وأنا أحس بالاختناق٠

وجاءت السيارة أخيرا تتهادى فى الميدان الواسع واندفع اليها الركاب ٠

وكنت آخر من صعد اليها ٠٠ وتحركت فى ممشى العربة ببطء وأنا أتفرس فى الوجوه حتى وجدت جارتى فى السفر ٠٠ وكانت سيدة شابة تضع فى حجرها كتابا ٠٠ وفوقه مظلة يابانية مطوية ٠

ورمقتنى بنظرة سريعة وأنا أجلس فى هدوء بجوارها ٠

ولما تحركت السيارة احسست أن أيام شقائى قد انتهت فى هذه اللحظة واننى بدأت مرحلة جديدة من حياتى ٠

وأخذت أجيل الطرف فى المقاعد التى أمامى وكان بالسيارة ٢٨ راكبا نصفهم من النساء والأطفال ٠

ورأيت من بين الركاب ٠٠ راكبا أعرفه جيدا ويدعى «عبد السميع» وكان يجلس فى الكرسى الذى أمامى مباشرة ٠٠ وهو رجل سمين غليظ العنق بارز الكرش اغبر السحنة وكان قد جمع كل صفات الدناءة التى فى بنى البشر ٠٠ ووضعها فى كرشه ٠٠

وكنت قد التقيت بهذا الرجل منذ سبعة أشهر وأنا أرافق صديقا وعروسه ٠٠ وكان قد راقتهما شقة فى عمارة يمتلكها هذا المخلوق فى حى الدقى ودفع له صديقى مائة جنيه هى كل ما أدخره فى حياته ليحجز له شقة وكانت العمارة لم تستكمل بناءها بعد ٠٠ وسلمه المبلغ طبعا من غير ايصال نزولا على ارادته٠٠ وكلما طلب منه صديقى تحرير عقد الايجار ٠٠ يقول له :

ـ لسه لما تخلص العمارة يابنى ٠

ولما اكتمل بناء العمارة ٠٠ قال له :

ـ آسف لقد استأجرتها الحكومة ٠

ولم يرد له المبلغ وانكر أنه تسلمه ٠

وكان كاذبا اذ أجر الشقة لغيره بعد ان أخذ منه ضعف هذا المبلغ ٠

وأحسست بيدى تود ان تخنق هذا الرجل ٠

ولكن وجود جارتى الحسناء بجوارى منعنى من هذه الحركة ٠

وكان الرجال جميعا يدخنون ٠٠ اما النساء فكن يناغين الاطفال ٠

وكانت جارتى الحسناء محولة وجهها الى النافذة ٠٠ ويدها اليمنى تحرك المظلة التى كانت مغلقة دواما ٠٠ وأشفقت عليها من هذه الحركة حتى كنت أود أن أتناول منها المظلة وأضعها على الرف ٠٠ ولكننى خمنت بأنها مظلة صغيرة للزينة ليس الا وفى استبقائها فى يدها مظهر من مظاهر الاناقة ٠

وبدا الحديث بينى وبينها طبيعيا وبمنتهى البساطة وكان بسبب الستارة التى تحجب الشمس اذ كنا فى اتجاهها الغارب ٠٠ وكانت مفصلات الستارة غير سوية فعالجتها لها حتى حجبت الشمس عنها٠٠ وتركنا فرجة صغيرة بين الزجاج

تدفع الينا هواء باردا منعشـــا رطب وجهينا ٠

وبدأنا بالثناء على السفرفى السيارات المريحة فى الطريق الصحراوى بعيدا عن التراب ٠

ثم بالحـديث الخفيـف عن وجهتنـا وغرضنا من السفر ٠

وقلت لها بأنى ذاهب للاســكندرية لتمضية اسبوع استريح فيه من عنـاء عملى الشاق ٠٠

وحدثتنى ان هذه هى أول رحلة لها فى حياتها الى الاسكندرية ٠

وتلقيت هذا النبأ فى عجب لأنها كما بدت فـوق العشرين من عمرها عصرية ومن طراز متفتح وفى يسر ولا ترهقهـا نفقات السفر ٠

وزال العجب ٠ لما عرفتنى بأنها يتيمة الأب وانها تعول وتلازم أمها المريضة ٠

وأخذ العشى يلفنا فى شملته ٠

وفى خلال حديثنا ونظراتنـــا عبر الصحراء التى أخذت تدخل فى الظلمة ٠٠ تنبهنا على حركة من السائق بدت غير طبيعية ٠٠ اذ انحرف الى يمـــين الطريق ثم توقف فجأة ٠٠

وأصابنا الذعر اذ تصورنا خللا طرأ على المحرك ٠

وتقدم اليه أحد الركاب فى المقـاعد الامامية وأخذ يحادثه لحظات ٠٠ ثم نزل الاثنان معا الى المحرك ٠

وعرفنا ان السائق عندما بدأ يعالج النور لما خيم الظلام وجده معطلا تماما فآثر السلامة بالتـــوقف ٠٠ حتى تمر سيارة من سيارات الشركة فيبلغهـــا الامر ٠٠ والشركة ســـتعالج الموقف بارسال سيارة أخرى للركاب ٠

وأصابنا الكرب الذى يصيب كل من تتعطل به سيارة ٠

وفجأة لمحنا بطـــارية فى يد الراكب الذى نزع مع السائق ويد تتحرك عـلى نورها الضعيف وتعالج الاسلاك ٠

وفى أقل من نصف ســاعة ٠ أضاء نور السيارة وشق قلب الصحراء ٠

وكدنا من الفرحة ان نعانق الرجـل الذى أصلح الخلل ٠٠ وهو صاعد بهدوء اذ تحرك الركاب جميعا نحوه ليروه عن قرب ٠٠ ولما اقترب منى عرفته ٠٠ اذ كان « صلاح » من معارفى وانقطعت عنى أخباره منذ عشرين سنة ٠

وكان مهندسا كهربائيا فى حى شعبى ويقوم بالأعمال الكهربائيـــة فى معظم العمارات التى تنشأ حديثا وكان شهيرا بشىء تخصص له وبرع فيه ٠٠ اذ كان يقوم باعداد الزينات الكهربائيـــة فى الافراح ٠

ويقوم بعمل شيطانى خارق اذ يوقف العداد الذى يسحب منه نور الفرح دون ان يلاحـــظ ذلك أحد حتى دوخ شركة ليبون بحيله وبراعته ٠

وكان يبتسم ويقول لى معللا فعلته :

ـ اننى أفعل هـذا للفقراء والشركة غنية وجشعة تأخذ ولا تعطى الا القليل فمن العدل ان أقيم الميزان بالقسط !٠٠

وكان مرحا ضاحك السن طلق المحيا أبدا وفى خلال عشرتى الطويلة لم أره مستاء من أى شىء أبدا ٠

ولم يكن يتقاضى من أصحاب الافراح عن هذا العمل الا أجرا زهيدا ٠

وكان بارعا فى صنعته كمقاول للاعمال الكهربائية ٠

وكان أعزب وشغوفا بالنساء ولاأدرى حاله الساعة بعد مرور هذه السنين ٠

وعرفنى وأنا اقترب منه فأسرعت اليه وعانقته ٠

وقلت له :

ـ اهلا ·· سالقاك فى الاستراحة · يا صلاح ·

اذ لم يكن فى العربة مجال للحديث وعدت الى مكانى بجوار الآنسة سعاد وسالتنى :

ـ هو الذى اصلح النور ؟ ··

ـ أجل ·

ـ يفعل ما عجز عنه السائق انه بارع

ـ أبرع الناس طرا ·· لم أجد له فى حياتى ضريبا ·

ـ صحيح فى الظلام وعلى ضوء بطارية خفيفة يفعل هذا ·· انه بارع حقا ·

وأخذت احدثها عنه فضحكت لما علمت من أحواله وبعض سجاياه ·

ولما بلغنا الاستراحة جلس معنا « صلاح » فى الشرفة وأخذنا نأكل البطيخ ·· وحدثنى عن بنسيون سينزل فيه واختاره لى ·· فوعدته أن أنزل فيه اكراما لصحبته وأخذ يقص علينا نوادره وأحواله حتى أثلج قلوبنا ·

ولاحظت أنه لم يتغير فيه شىء قط·· فما ظهرت عليه أقل عوارض الشيخوخة مع انه يقترب من الستين ·· ولا قلل من مرحه ونوادره ·

وقضينا معه ربع ساعة هنية ·· وكانت سعاد مسرورة بلقائه لمرحه الزائد وعذوبة حديثه ·

وتحركت السيارة واخذت تنهب الأرض الى الاسكندرية ·· وشعرت ان الالفة قد زادت بينى وبين سعاد الى الحد الذى أشعرنى بالخوف ·· اذ أن السرعة ستقلل من زمن سعادتى وتمنيت ان تسير السيارة أبطأ وأبطأ حتى تبلغ الاسكندرية فى الصباح وكنت أخشى أكثر من كل شىء أن نفترق ·· فى محطة الرمل ·· ولا أراها بعد ذلك أبدا ·· وكنت أود أن تخب بنا السيارة خببا فى هذا الطريق السوى ·· حتى نصل فى منتصف الليل ·

وقبل ان نبلغ العامرية رأيت منطقة التعمير الجديدة وزراعة البطيخ والخضر على الجانبين وشاهدت بيوتا جديدة أقيمت للفلاحين والعاملين فى المنطقة·· وشعرت بفرحة ·· وتملكنى احساس من الزهو لم استطع دفعه ولا اخفاءه عن جارتى ·

وكان لها مثل شعورى ·· فالارض الموات قد أحييت فى مدى سنين قلائل واهتزت تربتها وجرى عليها الماء الذى جعل كل شىء حيا ·

ولقد كانت السيارة فيما مضى ·· تسير فى تيه قفر من الصحراء الموحشة فاصبحنا اليوم نمشى بين صفين من الخضرة ·· وأوراق الزرع الناضرة تمايلها الريح ·

وغمر ركاب السيارة جميعا موجة من النشاط لما بصروا بالفلاحين من حولهم يعملون ·· والأرض نبتت فيها الحياة·

وسالتنى سعاد :

ـ هل سافرت فى هذا الطريق من قبل ·· ورأيت هذا التحول ؟ ··

ـ الواقع ·· اننى لم أسافر فيه ·· منذ سنين ·· ولم أر هذه الخضرة الجميلة الا الآن ·

انظرى كيف يصنع الانسان ·· اذا أراد ·· تغلب على الطبيعة ·· وقلب الصحراء الى جنة ·

ـ صحيح انها جنة ·

ـ كم انا مشوق ·· الى تمضية نهار بطوله هنا ·· وسط هؤلاء الناس ·· وما أجمل ليل الصحراء ·· اذا جمع بين الخضرة الناضرة والجمال الفاتن ·

ـ ان اعصاب سكان المدن ·· فى حاجة الى مثل هذا الهدوء ·

وكان هذا ما اتوق اليه وأود انا احققه لنفسى ·· كنت فى حاجة شديدة الى تمضية شهر كامل فى الصحراء حيث لازعيق ولا ضجيج ·· ولا أصوات البوق ·· ولا هزة القطارات ولا التدافع بالمناكب فى ركوب السيارات والنزول منها ولا الانتظار بالساعات على المحطات ·· ولا التناحر والتنافس للحصول على شىء ·

كنت فى حاجة لان اعيش فترة طويلة عيشة صوفية لاسترد روحى ·· التى احسست بأنها ذهبت ·

ونظرت الى جارتى وكانت قد اغلقت عينيها نصف اغماضة ·· عندما مالت السيارة الى اليمين متخذة طريق البحيرات الى المدينة ·

كانت اغفاءة حالمة ·· وكان وجهها جميل التقاطيع ناصع البياض ·· وعلى خدها الايمن شامة صغيرة ·· وعلى شفتها العليا دملة اخفتها بمنديلها وهى نائمة لما احست بنظرى يميل اليها ·

وكانت قد عقصت شعرها بايشارب أزرق خشية أن تنكشه الريح ·· وبدا شعرها جميلا لامعا شديد السواد ·

وكان حاجباها مقرونين غزيرين ·· ولكنها زججتهما ·· وعملت فى اهدابها الطويلة « بالرميل » حتى القى الحاجبان ظلا ضعيفا على الخد الناعس ·

وكنت بكليتى منجذبا اليها وشاعرا بقوة شديدة تشدنى الى جوارها ·· ولكن فارق السن الكبير بينى وبينها جعلنى اخفى مشاعرى عنها وأتراجع فرسخا اذا ماتقدمت خطوة ·

ولقد التقيت فى حياتى بنساء فى مثل جمالها وفى مثل شبابها ولكن عينى لم تقعا على مثل هذه الرقة قط كان حديثها همسا ·· وخجلها هو خجل العذراء التى لم تزيفها المدنية ·· ابدا ·

وعلمت منها بعد حديث طويل ·· وبعد ان تفتحت نفسانا وأحس كل منا بالالفة لرفيقه ·· أنها ذاهبة الى الاسكندرية لزيارة خالتها التى تسكن فى حى محرم بك ·· وانها تخشر الا ينتظرها احد عند محطة الرمل ·· فلا تهتدى الى البيت ·· لانها تجهل أحياء الاسكندرية تماما ·· وهونت عليها الامر ·· وقلت لها وقلبى مفعم بالسرور ·· اننى على استعداد لمرافقتها حتى عتبة البيت ·· واننى اعرف الاسكندرية جيدا لاننى عشت فيها سنوات طويلة ·· واطمأنت تماما وسكن روعها وقلقها ·

ولما اقتربنا من حدود المدينة لاحت الانوار تتلألأ ·· وبدت حركة بين الركاب تدل على انهم اقتربوا من نهاية رحلتهم اذ تحركوا فى كراسيهم ·· واخذ بعضهم يتطلع من النوافذ ·

ودخلت السيارة المدينة ·· واقتربنا من حى الشاطبى ·· وهناك مالت السيارة الى اليسار واخذت طريقها على الكورنيش ·· وبدا البحر يزمجر ويدفع موجه الشديد الى الشاطىء ·· والزبد يرغى ·· وسرت الآنسة سعاد ·· بمنظره وشاقها جدا حتى أخذت تتطلع فى استغراق ·· واخذتها هزة من السرور ·· فاقتربت منى دون وعى منها حتى ضغط كتفها على كتفى ·

كانت نشوانه وفى حالة من الغبطة هزت جسمها وأوتار قلبها فعبرت عنها وهى لاتدرى بتلك الحركة ·

وقد أدركت من اقترابها منى انها تلوذ بى وتلمسنى بكتفها لادرك معنى سعادتها ·

ودارت السيارة فى محطة الرمل ·

وتوقفت فى المحطة النهائية ·· واخذ الركاب ينزلون وسلمت على صاحبى « صلاح » ووعدته بأن ألحق به فى البنسيون ·

وكان مع الآنسة سعاد حقيبة واحدة متوسطة الحجم ·· وكان معى مثلها ولكنها اصغر من حقيبتها ·· وأشارت ان نركب ترام الرمل لنوفر المصاريف ·· ولكننى اركبتها تاكسى لننفرد لحظات قليلة قبل ان نفترق ·

وانطلقنا متمهلين فى شوارع الاسكندرية ·· وكان التاكسى متهالكا وبطيئا فسرنى ذلك لتطول مدة وجودنا معا · واحسست فى ضوء العربة الشاحب وانا اشعر بها بجوارى فى هذا المكان الصغير ·· اننى احببتها من كل قلبى ·· وحبا عنيفا هزنى فى ساعات قليلة ·· وكنت أشعر بالخجل الشديد لفارق السن الكبير بينى وبينها ·

وكانت هى تحس نحوى بعاطفة من الايناس والالفة ·· وان لم ترق الى مرتبة الحب ·· ولكنها كانت أقرب الى الركون الى انسان تستريح له ويحميك وانت وحيد فى مدينة كبيرة وبهذا الشعور اقتربت منى وزاد التصاقها بى ·

وكلما اقتربنا من الحى الذى تسكن فيه خالتها كلما ازداد شعورى بفراقها وشعرت بآلامى · فقلت لها وقلبى كله لوعة :

ـ الا أراك مرة أخرى ·· ؟

ـ أين ؟·· أنا لا أعرف الاسكندرية

فكرت سريعا فى مكان هادىء ثم قلت على الفور :

ـ فى كازينو رشدى ·

ـ رشدى ·· ؟ لا أعرفه ·

ـ اركبى السيارة العمومية ·· من طريق البحر واطلبى من السائق ان ينزلك فى محطة رشدى ·· المسألة سهلة ·

ـ سأحاول ·

ـ هل يمكن ان نتلاقى غدا ؟ ··

ـ كما تحب ·

ـ سأنتظرك فى الصباح الساعة الحادية عشرة ·

ـ هل أستطيع أن آخذ حماما هناك ؟

ـ انه شاطىء جميل ·· طبعا يمكنك ·· « بس » البسى المايوه ·· وانتى خارجة ·

ـ انا مشوقة الى البحر جدا جدا ·

واحمر وجهها ·

ـ ستمضين صباحا ممتعا ·· تعالى ضرورى ·

ـ جايه والله ·

وقرعت باب بيت خالتها ·

وسلمت ودخلت ·

وانتظرتها فى كازينو رشدى قبل الميعاد بساعة ·· وجاءت رشيقة باسمة ·· وكانت قد غيرت ثوب الأمس واتدت جونلة رماية وبلوزة بيضاء ·· وفى جيدها عقد من تقليد الزمرد زادها فتنة ·

وكان الكازينو غير مزدحم فى هذه الساعة فجلسنا على طاولة صغيرة بجانب البحر ·· وأخذ المستحمون يفدون على الشاطىء ويقيمون الشماسى على صف واحد ·

وكان البحر ثائرا والراية السوداء مرفوعة ·· ومع ذلك نزل بعض الاطفال الى الماء وأخذوا يطرطشون على الشاطىء ·· ويخوضون الى صدورهم فى الماء ·· وامهاتهم يرقبنهم فى يقظة ·

وظهر لعينى ان اللواتى لم يخلعن ملابسهن بعد أجمل من اللواتى لبسن المايوه ·· وأشد اثارة ·

وبدت الفتنة منطلقة ممن رفعن ذيول

خصائصهن وهن يدفعن اطفالهن الى الماء
•• فبدت السيقان الجميلة فى لون المرمر ونعومتـــه •• وطرف من باطن الفخذ وما يعلو الركبة ••

وكان الانفعال والحركة نفسها فى الماء تزيد من جمال الصورة وعلى الأخص اذا قاوم الطفل دفع الأم أو تعلق بصدرها.

وتعلقت عيناى مع عينى ســعاد •• بشاب وفتاة متقـــاربين فى السن •• يحاولان النزول ثم يترددان لثورة الماء •• واخيرا تنزل الفتاة ويتبعها الشاب •• وعلى صفارة الغطاس يعـودان وقد انهكهما التعب •• وتفتحت خياشيمهما مع انهما لم يسبحا الا بضعة امتـــار قليلة •

وقالت سعاد لما رأت ثورة البحر :

ــ تصـــور اننى كنت أود أن ألبس المايوه اليوم •• لاستحم •

ــ غدا سيهدأ البحر •

ــ آمل ذلك والا ستضيع منى الفرصة •• لانى مسافرة يوم الثلاثاء •

ــ اذا لم يهدأ البحر غدا •• سنذهب الى بلاج العجمى وتستحمين هنـاك •• فهو هادىء فى معظم الاحيان •

ــ على أى حال لابد أن استحم غدا •• لانى مشوقة الى البحر •• مشوقة جدا

وكانت تتكلم بحماسة •• وهى تقرب وجهها وعينيها منى •• فرأيت السواد الجميل يلتمع فى العينين العسليتين •• والشفة وقد علاها الرضاب •

وكان البحر يهدر من حولنا حتى بدا عالى الموج •• والمصيفون أخذوا يتوافدون ويجلسون على الطاولات التى بجـوارنا ولكننا لم نشعر بوجودهم اصلا •• كنت مأخوذا بسحر جمالها •• وسحر حديثها •• وكنت افكر فى الاقدار التى وضعت هذه الفتاة بجانبى فى السيارة •• وانا فى حالة حزن •• لتمسح عـــلى حزن قلبى •• وتضىء الحياة امام عينى •• كان كل ما يحيط بى وهى بقربى جميلا •• تغيرت نظرتى لـــكل شىء •• فالشمس متفتحة ساطعة والبحر أزرق والسـماء أشد زرقة •• والبواخر تتهادى هناك فى عرض الماء وزوارق الصـــيادين قد طوت أشرعتها •• وألقت شباكها •

وسألتنى وهى تراقب البواخر :

ــ هل ركبت البحر •• ؟

ــ اكثر من مرة •

ــ السفر فى البحر ممتع •• ؟

ــ انه من أجمـل الاســفار طرا •• ينتابك احســـاس آخر وانت فى قلب البحر تحسين والسماء فوقك ولا أرض هناك •• ولا حيوان •• ولا نبات •• باحساس جديد •• تحسين بالحرية التى نفتقدها على الأرض •• تحسين ان الدنيا أصبحت لك فى لحظات حالمة ــ احساس المسافر الى القمر •

ــ اجل •• ولكن دون خوف •

وأخذنا فى حديث ممتع حتى اقتربت الساعة من الواحدة بعد الظهر •• فنهضنا واخـــذنا نتمشى على الـــكورنيش •• وعرضت عليها بأن نتغدى معا وجبـــة سمك خفيفة فاعتذرت بأن خالتها أعدت لها الغداء • واتفقنا على أن نتعشى معا •

وركبنا الاتوبيس ورافقتها الى قرب بيت خالتها •

وفى الليل انتظرتها فى « اثنيوس » •• وجلسنا بجانب فرقة الموسيقى •• ولـــكن لما بدأ الرقص فى « البسبت » رأينا وجوها ليس فيهـــا جمال ترقص دون فن •• فتحولنا عن الراقصين •• ثم خرجنا الى مقهى باستوريدس عـــلى البحر •• فقضينا جلسة شعرية حالمة

في الضوء الخافت الذى يحرك المشاعر الهاجعة ٠

ثم تمشينا الى « الاجلون » وتعشينا هناك لحما مقددا ومكرونة وشربنا القهوة ٠

وبعد العشاء مشينا والبحر يهدر ٠٠ وكانت الانوار ساطعة فى « اللسان »٠٠ وفى حى « رأس التين » ٠

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة والليل ساكنا ٠٠ والبحر فى اجمل مناظره ٠٠ كان يلفه ضباب اسود أشاع السحر الجهم المجهول فى الافق الضبابى ٠

كنا نسير الهوينا نستمع الى وقع اقدامنا فى الليل الحالم ٠٠ وكانت قد تركت يدها فى يدى فشعرت بها ندية حارة ٠٠ وكنت انظر الى عينيها الدعجاوين الحالمتين وسوالف شعرها٠٠ يداعبها ريح البحر وهى تدفعها بيدها الرخصة وأقرأ السرور والجذل الحالم فى القد الممشوق المتفجر ٠٠ والعينين الناعستين ٠٠ فأسر وأشعر بانتفاضة تسرى في لحمى واليأف قلبى ٠٠ ثم تجدنى فى نفس اللحظة أجد شيئا فى نفسى يهجس بى « ويذكرنى بفارق السن الكبير بينى وبينها ٠٠ واحس بضباب يغشينى وبشىء يقبض على قلبى٠٠كانت لاتتجاوز الخامسة والعشرين من عمرها ٠٠ وكان عمرى ضعف عمرها ٠٠ وكان هذا الفارق ٠٠ يجعلنى أتردد ولا اندفع ٠٠ ولكنى كنت احس بصدق عواطفها ٠٠ فلم تكن متكلفة ولا كاذبة فى اندفاعها نحوى ٠

وقد أحسست باللحظة الجميلة ٠٠ وكنت لا أود ان أشوهها بأى خاطر متشائم ٠

ولما تركتها قرب باب خالتها ٠٠ كان نصف الليل يقترب ٠٠ ورجعت وحدى وأنا احس بلوعة الفراق ٠٠ مع انى سأقابلها فى الصباح ٠

واستجاب البحر لقلبينا فى اليوم التالى فكان هادئا ٠٠ لينا ٠٠ وكانت ترتدى المايوه تحت ملابسها فنزلنا الى الشاطىء ٠٠ وجئنا بكرسيين من الكازينو ٠٠ وخلعت ملابسها بالقرب من شمسية كانت خالية ٠٠وانطلقت تجرى الى البحر وهى نشوانة وفى غمرة من السعادة الدافقة ٠

ورأيت جسمها أمامى عاريا ٠٠ فى تقاطيع جسم فينوس وفى مثل جماله٠٠ وشعرت بهزة شديدة ٠

وأحسست بلسعة حارقة وانا أرى جسمها الممشوق الثائر الفائر بالفتنة امامى عاريا فى ضوء الشمس٠٠

وكان من مستلزمات الحمام البحرى ٠٠ ان تجلس ساعة بالمايوه على الشاطىء قبل ان تنزل الى الماء حتى لا تصيبها الرعشة والبرد ٠

وجلست بجوارى مسترخية وهي فى كل مفاتنها ٠٠ وكانت تأتى بحركات عفوية بريئة وبدلا من أن تخمد نارى كانت تزيدها لهيبا ٠

وكنت أخفى انفعالى وازدياد ضربات قلبى واحمرار وجهى ٠٠ بالتحول عنها والتخطيط فى الرمال ٠

ورأيت أن افتح حديثا عن مشكلة اقتصادية جافة وأرى رأيها فيها كمجرد الكلام العابر ٠٠ ولكن هذه الحيلة لم تنفع وظهر التكلف والكظم على معارفى وتخلصنا من ذلك بالحديث عن موديل المايوهات منذ سنة ١٩٢٥ ٠

ولما نزلت الى البحر تبينت انها تجيد السباحة وكنت أود ان اغطس وراءها

وأسفت لكونى لم اعد نفسى لحمـــام البحر ٠

وخرجت والمـاء يقطر كحبات البلور من فوق جسم كالمرمر وذهبت الى الدش ثم عادت ٠٠ متدثرة بالفوطة واخـــذت تمسح على سيقانها وفخذيها ٠٠ ورأيت قدميها الصغيرين بأصابعها الدقيقـــة لاول مرة وهى تمدها عارية أمامى ثانية الركبة ٠

وأستطيع أن ارسم هذا الجمال كما رأيته بكل تفاصيله الدقيقة بعد ساعة وبعد عشرين سنة دون أن أخفى منـه شيئا ٠٠ فقد استقرت الصـــورة بكل تفاصيلها الدقيقة كاملة فى ذهنى ٠٠

وودعتها بعد ان تغدينا ٠٠ ومضينا العصر كله معا ٠٠ وكانت راجعـــة الى القاهرة فى سيارة الساعة السادســـة مساء ٠

واخترت لها آخر سيارة لنقضى اكبر وقت معا ٠٠ واحسست وانا أسير وحدى فى محطة الرمل بأن ســـكينا حادة قد انغرست فى قلبى ٠٠ فقد شعرت أن شيئا عزيزا قد اختطف منى فجأة دون تمهيد لذلك ٠٠ وخشيت الا أراها مرة أخرى ٠٠ مرت كالطيف دون أن احظى منها حتى بقبلة أو ضمة ٠

ولقد كتمت كل عواطف قلبى ومزقت مشاعرى وحواسى لمجرد حماقة السن ٠

وأدركت الآن ان هذا كله حماقة ولقد اسفت عليه بجدع الانف ولـــكن ماذا يجدى الأسف ٠

واحسست بالضياع وأنا اسير وحدى ٠٠ على الكورنيش ٠٠ وكانت الشمس قد اصفرت واخذت أشعتها الغـــاربة تذهب صـــفحة الماء وتحيلهـا الى لون العسجد ٠٠ وكان المنظر جميلا ولـكن عينى كانا يغشيهما الحزن بلون اســود ضارب ٠٠ فلم أر ماحولى من جمال ٠

وانسحبت الى مقهى صغير معتم فى داخل البلد فى شارع « النبى دانيال » وطلبت فنجالا من القهوة ٠٠ ثم فنجالا آخر بعد نصف الساعة وبعدان أحسست بالصداع يضرب فى صدغى بمطارق من حديد ٠

وفى الليل انسحبت الى البنســيون ولكن لم يؤتنى النوم وكانت الســـاعة وقد تجاوزت العاشرة ٠٠ ورأيت صلاح المهندس الكهربائى يضحك مع صـــاحبة البنســـيون وكانت ٠٠ امرأة نصف ولكنها لاتزال غندورة ٠٠ ومن نظرات عينيه الى فهمت انه نال منها كل مايشتهيه ٠٠ وكان على حاله من المرح ولكنها لم تؤثر فى ودخلت غرفتى مستأذنا ٠٠ ثم بعد قليل وجدت نفسى اخرج الى الطريق بنفس الملابس ٠

ووجدت حانة على طريق الكورنيش فى حى « الازاريطة » فاتخذت مكانى فى الداخل الى طاولة ترى البحر ٠٠ وطلبت كأسا من البراندى وكنت قد انقطعت عن شرب الخمر منذ خمس سنوات ٠٠ ولكن فى هذه اللحظة لم استطع المقاومة ٠٠ وتناولت ثلاثة كؤوس فى فترة وجيزة ٠٠ ونظرى يسبح وفكرى شارد وكان البحر امامى يهدر ٠٠ وفى داخل المشرب جلس نفر من المصـــيفين يتعشـــون ويشربون فى سكون ٠٠ ورأيت فى الركن شابا نحيلا يشرب وحيدا وقد احمرت عيناه من فعل الخمر ٠٠ وكان صامتـــا أخرس وسترته ممزقة عند الكوع وحالته تدعو الى الاشفاق والرثاء ٠

كانت حالته حال سكير ضـــائع ٠٠ وخشيت ان تماديت فى الشراب أن أصل الى مثـل حاله ٠٠ فكففت عن الشراب وبارحت الحانة ٠

وفى هذه اللحظة لمحت سيدة حسناء غاية فى الاناقة تعبر طريق الكورنيش ومشت فى الدرب الصغير المعتم الذى على ناصية الحانة . ودخلت فى شارع جانبى فسرت وراءها والخمر تدفعنى الى ملاحقتها فى طرادعجيب حتى دخلت بيتا من أربعة طوابق .. وغابت عنى .. ووقفت حائرا .. وأخذت أتراجع خطوات فى الشارع الساكن .. وانا اقرأ أرقام المنازل حتى لمحت لافتة تشير الى غرفة مفروشة ثم سيدة تهم باغلاق نافذة ارضية فأخذت أنظر اليها بقوة كأننى التمس منها العون على اخراجى من كآبتى .

وسألتها فى عجلة :

ـ الغرفة المفروشة .. هنا .. ؟

ـ أجل ...

ـ هل أستطيع أن أراها ...

ـ الآن ... بالليل .. ؟!!

ـ تعبت من البحث طول النهار حتى حفيت قدماى .. أرجوك ...

ـ طيب تفضل .

ونفذت بسرعة من باب العمارة ... وفتحت لى بابها .

ودخلت وراءها وأغلقت الباب بخفة وسرعة .. ولاحظت السكون المخيم فى الداخل .. والنور الخافت .. وأخذت عيناى تتطلعان الى ماحولى .. وأجلستنى .. برشاقة فى الصالون وتركتنى .

وجلست وحيدا وأنا أشعر بهزة الخوف من فرط السكون المخيم لولا ان السيدة كانت فى جمال نادر ودماثة وأخذت تبدد الخوف وتشيع الطمأنينة فى قلبى .

ودخلت بابتسامة على الشفة وزجاجة كوكاكولا فى اليد .

فقلت وأنا اتناول منها الزجاجة .. وأضعها جانبا :

ـ شكرا ولكن اذا كان لابد من التحية .. فأنا افضل القهوة .. لانى اشعر بصداع شديد ..

ـ هل شربت ؟

ـ كثيرا .. حتى سكرت .

ـ لماذا .. ؟

ـ لانى فقدت شيئا عزيزا .

ـ ضاعت محفظتك ؟

ـ المحفظة لاتزال فى جيبى .

ـ لماذا تحزن وتبتئس اذن .. ؟ بالنقود تستطيع ان تفعل وتشترى كل شىء حتى السرور .

ـ ليس الى هذا الحد .

ـ بل واكثر من ذلك .

وكنت اتطلع الى صورة مقلوبة فى صدر الصالون .

ـ لمن هذه الصورة ؟

ـ انه المرحوم زوجى .

ـ زوجك ولماذا جعلت وجهه الى الحائط ؟

ـ حتى لا يرى عرضه المثلوم ... !

وفتحت فمى دهشا .

واستطردت بحرارة :

ـ لقد قلبت الصورة منذ ست سنوات عندما جاءنى أعز صديق لزوجى

وفى الشهر الذى مات فيه زوجى يراودنى عن نفسى بمكر ونذالة ..ولم اكن اتصور النذالة تبلغ هذا الحد بالرجال .

فبصقت على وجهه وصفعته .

ودمعت عيناها .. واستطردت :

ـ ولكن الفقر اذلنى .. لم اجد انسانا ذا مروءة .. يحفظ الشرف والكرامة لأرملة مسكينة .. تكاد تموت جوعا .. ولاحقتنى الديون والمطالبات كانما تفتحت ابواب جهنم مرة واحدة لتحرقنى بنارها .. وجاء النذل مرة أخرى وعلى شفتيه ابتسامة المنتصرالذى يريد ان ينتقم ودفع الديون وقلب صورة صديقه العزيز بيده .. جعل وجهها الى الحائط وابتاعنى .

ـ وهل كل الرجال انذال مثل هذا ؟

ـ ليس كلهم طبعا .. فهناك الطيبون امثالك .. !

وكان فى صوتها رنة التهكم .

ـ تعال اريك الغرفة .

ومشيت وراءها فىالداخل ..وفتحت بابا .

ـ هل اعجبتك ؟

ـ انها جميلة جدا .

ـ وهل تريد ان تسكن حقا .. ام ان .. تقضى ليلة .. ؟

ـ أريدها شهرا بطوله .

ـ سيكلفك ذلك كثيرا .

ـ كم .. ؟

ـ تسعون جنيها .. ثلاثة جنيهات فى الليلة .

وابتسمت واخرجت محفظتى .

ـ اتريدين شيئا مقدما .. الآن .

ـ لا .. ليس الآن .. ادفع فى الصباح .. انت غنى ؟

وقالت برقة :

ـ هل تريد أن تأكل شيئا أو تشرب قليلا من الخمر .

ـ لا بأس مادمتسأقضى الليل معك. وانسابت بخفة .

وسمعت بابا داخليا يفتح .. وصوت رجل فى صوت كالهمس ..ثم خيم السكون من جديد ..

وعادت تحمل زجاجة من الخمر ... وبعض السمك المشوى .

ـ مع من كنت تتحدثين .. ؟

ـ مع البواب .. كنتأطلب منه شيئا من السوق .

ـ وهل يعرف ان عندك ضيفا .. ؟

ـ طبعا لا .. اطمئن .

وكانت فاتنة فى ثوبها الأسود .. ولا تتجاوز الثلاثين من عمرها ..ورأيت على وجهها بعض الهموم .. والسهوم.. وهى تنظر الى الكأس .. ثم عادت الى صفائها .. ولطفها ولم استطع مقاومة الفتنة فاحتضنتها .. فتململت منى برقة وهى تقول بنغم عذب :

ـ ألا تستطيع أن تضبط عواطفك ؟

ـ ابدا اننى متيم .. الى حد الجنون .

ـ بمثل هذه السرعة .. ؟

ـ وهل للحب مقياس وأزمنة ؟

ـ ابدا .. عندك حق .

ـ وانزلق ثوبها وهى تطفىء النور. وسألتنى بعذوبة :

ـ ما اسمك .. ؟

ـ خليل .

ـ وانا اسمى فوزية ..

ـ اسم جميل .

وسبحت معها فى الظلام وكنتاحس بانفاسها ورائحة عطرها .. وكانت قد

تعطرت ونفشت شـــعرها ·· وتركت قميصها الاسود ينزلق عن فخـــذيها وكتفها الايسر·· واحسست وانا ارطب شفتى المحترقتين برضاب ثغرها بانها تكتم الما ممضا يسحق روحها ·· ولكن كانت تروح فى دوامة الحس المخدر ·· لتنسى حدثا جللا ·

كما احسست وأنا احتضنها بقوة ·· بأنى اتعذب وان البؤس والعذاب والقلق يمزق روحى ·

وأحسست بنشوة الصبا وانا ارى روحها الحانية المعذبة ·· بمثل عذابى تستجيب لى وتمتزج بى ·

وفى الضوء الخفيف الازرق سبحت·· وأحسست بالنعاس يداعب اجفانى ·

ولما استيقظت احسست بثقل غريب وفى عينى وفى رأسى ·· ولم اجدهـا بجوارى ··

ولما خرجت من الغرفة وجدتهـا فى الحمام ·

وكانت الشقة فى عتمة رهيبة ·· وصوت البحر يهدر فى جنون ·

ولمحت على الضوء الباهت شيئا معلقا فى غرفة جانبية ·· فارتعش قلبى ·· لمحت مظلة يابانية كالتى كانت فى يد سعاد ·

فتقدمت بقوة ·· ودخلت الغرفة وفى رأسى الحزن ·· نفس اليـــد ·· لنفس المظلة ·· وأمسكت المظلة ·· كانت من نفس الصنف ·· ولكن القماش يختلف لونه ·· فسررت ·· وفيما انا اضـعها فى مكانها وجدت بابا يفضى الى غرفة داخلية فدفعته فلان تحت يدى ·

وعلى الضوء الخافت وجدت رجـــلا مطروحا على الارض وكانهناك دم يخرج من أنفه وفمه ·· ولما اقتربت منه عرفته انه عبد السميع الغنى الجشع صـــاحب العمارة الذى كان معنافىالسيارة والذى ابتز مال صديقى وغيره من الحـــائرين الذين يرغبون فى السكن فى امـلاكه ولعله جاء يقضىمعها ليلةفخنقته وسلبته كل مامعه · وكان يرتدى نفس بدلتـه التى رأيته بها فى السيارة ·· ونسيت مافعله بصـــاحبى وحزنت على مصرعه وارتعش قلبى من الرعب ·· وانتابنى الفزع وأغلقت الباب بسرعة ·

وارتديت مـــلابسى وانا ارتعش ·· وانسحبت متلصصا ·· الى الشارع ·· وانا فى حالة رعب شديد ·

وكان الليل يصفر ·· والريحتولول ·· ولكنى رحت اجرى واجرى فى ظلام الليل دون وعى ·· حتى ارتطمت بشىء ·· ووقعت على الارض فاقد الوعى ·

وأخذت استفيقببطء وكان اثرالمخدر لايزال فى رأسى ·· فثقلت جفـــونى وفتحت عينى بصعوبة ·· كان الضباب لايزال يغشيهما ·· ووجدت كل ماحولى أبيض الحجـــرة ·· والفـــراش وحتى الكراسى ·

ووجدت سيدة تجلس بجـــوارى وكانت شـــابة جميلة تمسك بمظلة يابانية فى يدها ··ولكنها لم تكنمطوية هذه المرة ·· كانت قد فتحتها فوقرأسى لتقينى من الشمس ·· أو من شىء آخر ·· وكانت تنظر الى بحنان وانا اتنفس بصعوبة وأسح عرقا ·

وكنت افتح عينى بقـــوة لاعرف أى المرأتين هى ·· أسعاد أم فوزية ·· فقد كنت على حالة من الضعف ·

لم استطع منها ان ادرك الحقيقة ·

ولكن على أى حال كانت الســـيدة تحرك المظلة بلطف كانها تروح بها على قلبى ·